الباب السادس

الانترنت والعولمة الثقافية

obeikandl.com

obeikandl.com

منذ ظهور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واتخاذها حيزاً رئيسياً من حياة الانسان اليومية،جذبت اهتمام الباحثين في علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة، نظراً لارتباطها في مناحي الحياة المختلفة خاصة في عصر العولمة ومن أهم تكنولوجيا المعلومات وأكثرها إثارة في هذا الحقل هو الانترنت وما يشكله من حلقات رابطة بين السياسة والاقتصاد والثقافة.

لعل القرية العالمية التي أشار إليها مارشال ماكلوهان في منتصف القرن التاسع عشر هي التي أثارت الأسئلة حول امكانية اندماج الشعوب وثقافاتها لتتحول بالفعل الى قرية واحدة وعلى الرغم من صعوبة اختبار صحة هذه الفرضيات إلا أن العديد من الأمثلة توضح صعوبة هذا التجانس المطلق فقد تتغير عادات الاستهلاك اليومية لسلع معينة وكماليات في حياة الانسان لكن من الصعب أن تتغير جوهر العادات والتقاليد والمعتقدات المرتبطة باللغة والدين والمجتمع ولعل هذا ما يدفع المجتمعات لإعادة انتاج ما هو عالمي محلياً وبهذا قد يكون الانترنت تحدياً للعولمة الثقافية أكثر من كونه محفزاً لها.

إن علاقة الانترنت بالعولمة الثقافية مرتبطة بتدفق المعلومات الهائل في الفضاء الالكتروني، بالاضافة الى موجات الهجرة البشرية بحثاً عن العلم أو العمل والتي لا يمكن فصلها عن التدفق المعلوماتي في أسواق السياسة والاقتصاد وعلى الرغم من تعدد تعريفات العولمة الثقافية تبعاً لكل مجتمع ورؤيته الا أن تبني الافكار الجديدة المعولمة في المجتمعات

ليس بالأمر السهل وهذا ما يجعل قالب العولمة الثقافية متحولاً من مجتمع لآخر من ناحية التأثير فتوفر الانترنت والرقابة جعل الفجوة الرقمية تحدياً قوياً أمام خلق مجتمع عالمي متجانس تماماً ناهيك عن مكونات الثقافة نفسها كالدين واللغة والعادات والتقاليد والمعتقدات التي تشكل سدّاً منيعاً كونها تمثل الهوية الفردية والجمعية.

لعل من التشبيهات الملائمة لوصف التغيرات في المجتمعات هو المستوياتفيرى الباحث الامريكي جوزيف ستروبار ٢٠٠٨ أن العولمة الثقافية تشكل طبقات جديدة انتقالية في الهوية الفردية والجمعية لمستخدمي الانترنت كما الناظر الى نهر في اسفل المنحدر يرى بشكل جانبي مستويات متعددة للمياه الجارية ويلاحظ أن هناك مستويات جوهرية من المياه لا يمكن الاستغناء عنها ليتم استقبال مستويات جديدة. وهنا يشير الباحث الى مستويات اللغة والدين والتعليم والطبقة الاجتماعية والعرق كمستويات أساسية لا تتجزأ مهما تأثرت أجزاء منها بالعولمة إثر الهجرة المؤقتة أو الاتصال بالانترنت.

وعلى الرغم من محاولات قوى العولمة الاقتصادية والسياسية لنشر ثقافة استهلاكية محددة تخدم المصالح الاقتصادية وبالتالي السياسية عبر وسائل الاعلام، فإن استيعاب المجتمع لهذه المفاهيم الجديدة يبقى في إطار خلفيته الثقافية، نرى ذلك جلياً في ثقافة استهلاك الكولا والجينز

والوجبات السريعة التي يتم تمريرها في أفلام هوليوود مثلاً. وبالرغم من هذا تبقى هذه الثقافة الدخيلة في المرتبة الثانية في اهتمامات الفرد.

ومع ظهور منصات الإعلام الجديد أو الاجتماعي الذي يتيح للمستخدم انتاج سيل المعلومات الخاص به أصبح هذا تحدياً جديداً في العولمة الثقافية. فلم يعد الانتاج المعلوماتي حكراً على طبقة معينة بل أصبح فضاءً مفتوحاً للجميع وعلى الرغم من مساهمة الاعلام الاجتماعي في التقليل من الفجوة المعلوماتية بين المجتمعات الا ان الاختلافات العميقة لا زالت صامدة في وجه التغيير. بل وبالعكس، ففي بعض الحالات رفعت النجاحات العالمية من سقف المتوقع انتاجه محلياً، ويظهر هذا جلياً في عصر أفلام بوليوود الهندية ونوليوود النيجيرية التي اقتبست عن هوليوود إطارها العام وحولته الى انتاج محلي يعكس هموم المجتمعات المنتجة لها.

هذه التحولات قادت الباحثين الى إطلاق تسميات جديدة على القرية العالمية المتجانسة لتصبح قرية متعددة ومتنوعة الثقافات نظراً لتعدد جنسيات وسائل الاعلام المنتجة للصور والأفكار والثقافات. وربما هذا أيضاً ما دفع الصحفي والباحث الامريكي جيمس لول (٢٠٠٠) ليؤكد أن العولمة الثقافية لا تعني بالضرورة هيمنة المجتمع المتطور تكنولوجياً على العالم وتدمير منظومات الثقافات المحلية. ويؤكد أيضاً أن المسافات الجغرافية بين المجتمعات لا زالت عائقاً في وجه العولمة الثقافية بالرغم

من توفر الانترنت وغيره من وسائل الاتصال والدليل على ذلك مناطق الهند ورواندا وإثيوبيا والتبت وفلسطين التي لا زالت تعاني نزاعات عرقية وسياسية ويرى لول أيضاً أن المجتمعات باتت تتصل بالانترنت كإثبات وجود مكانة رمزية لها بين المجتمعات الأخرى.

لعل الانترنت أيضاً يحفز الروابط بين المجتمعات المضطهدة سياسياً كحال اللاجئين الفلسطنيين الذين وجدوا فيه مساحة للتواصل مع اخوانهم في الأراضي المحتلة والشتات وربما هذا ما يمثل نظرية عالم الاجتماع الاسباني مانويل كاستلز (٢٠٠٤) حول روابط الهوية الجمعية المتينة التي تجمع القوميات المتفرقة سياسياً وغير المحمية بسيادة دولة كاملة ولعل اتساع حدود الخيارات المتوفرة على الانترنت تجعل من السهل على الفرد أن يختار مجتمعه الافتراضي والذي يكون بالعادة متقارب أو مماثل لثقافته.

ومن ناحية أخرى تلعب اللغة في هذا المجال دوراً صريحاً خصوصاً مع اعتماد اللغة الانجليزية كلغة الانترنت. ومع ذلك تلحظ حرص مواقع الانترنت العالمية ومحركات البحث ومنصات الاعلام الاجتماعي على توفير عدة لغات لضمان الوصول الى أكبر عدد ممكن من المتصفحين. لعل أفضل مثال على ذلك هو الموسوعة الالكترونية ويكيبيديا التي وصل عدد اللغات المتوفرة عليها في آب ٢٠٠٧ الى نحو مئة واربعة وسبعين لغة بالرغم من توفر النسخة الانجليزية منها.

جوجل أيضاً مثال صارخ على الاهتمام بمحاكاة تعدد اللغات والثقافات، حيث أن لكل دولة نطاقها الرقمي الخاص بها. كصفحة جوجل لتركيا (google.com.tr) أو المملكة المتحدة (Google.co.uk) مثلاً. وفي نفس السياق يظهر الاهتمام باللغة من خلال الشعار المبتكر لجوجل والذي يحاكي في كل يوم قصة شخصية أو مناسبة عالمية ويوفرها على كل نطاق بلغته الخاصة ومن ناحية أخرى لا يمكن اهمال ظهور لغة العربيزي التي تقلق العديد من الباحثين في مجال اللغة. فإعلان جوجل في اواخر العام ٢٠١٢ عن اعتماد العربيزي كلغة بحث على محركه أثارت المخاوف حول ركاكة استخدام العربية بهذا الشكل. فالتمسك باللغة هو جزء من الدفاع عن الهوية في وجه عولمة الثقافة وهذا ما قد يفسر نمو اللغة العربية بنسبة ٣٠٠% في المحتوي الالكتروني.

محاولات الانترنت المتعددة في تجاوز الحدود السياسية والجغرافية لم تفلح في اختراق الحدود الثقافية وتمسك المجتمعات بهوياتها بالحد الأدنى. ويشير كاستلز في هذا المجال الى رغبة الشعوب بالتميّز عن غيرها من خلال هويتها الثقافية الملموسة وهذا ما يشكل تحدياً آخر للعولمة الثقافية وهذا ما يمكن إجماله بشعور المواطنة والانتماء من خلال العادات المشتركة والذاكرة الجمعية والتاريخ والمعتقدات والرموز. إذاً بالرغم من سيل المعلومات العالمي على الانترنت الا أن صلابة

الهوية الثقافية وقدرة الشعوب على امتصاص وهضم الثقافات الدخيلة قد يكون بطيئاً نسبياً.

أما الفجوة الرقمية التي تفصل الدول الفقيرة عن الثرية قد تكون مسبباً آخر لتفاوت مظاهر العولمة الثقافية فتوفر الشبكة العنكبوتية وجودة الاتصال بها مرتبط بشكل مباشر بالحالة الاقتصادية في الدولة وهذا ما يفسر تطور استخدام تكنولوجيا المعلومات في دول الخليج العربي مقارنة بفلسطين والاردن ولبنان وسوريا ناهيك عن دور الرقابة التي تلعبه الحكومات في ضبط قدرة المواطنين على الوصول الى بعض محتويات الانترنت والتي يظهر أكثر أشكالها تطرفاً في الصين.

إن عالم البحث في علاقة الانترنت بالعولمة الثقافية لن يتوقف مع تسارع التغيرات في هذا الحقل. ومما لا يمكن إنكاره هو تأثير التكنولوجيا على جوانب الحياة المختلفة. لكن من ناحية أخرى لا يمكن للتكنولوجيا أن تلغي الأميّة في ظل الفجوة الرقمية، ولا يمكنها تجاوز العرق والدين والنوع الاجتماعي وغيرها من مكونات الهوية الثقافية. ولذلك فإن التجانس المطلق بين شعوب العالم هو سريالية بعيدة المنال ومبالغ بها حتى وإن تم قولبة ما هو عالمي بإطار محلي. وهذا ما يلخصه جيمس لول بقوله: على الرغم من اتساع نطاق الاتصال بالتكنولوجيا بشكل هائل إلا أنها لن تجعل من العالم شعباً واحداً.

الهوية والعولمة

أولا: الإتجاهات التفسيرية للعولمة :

ربما نتفق على أنه ليس تعري جامع مانع للعولمة، وقد نتفق على أن هناك مجموعة من التطورات غير المسبوقة في المجالات الفكرية والتكنولوجيا و الإقتصادية و الثقافية تدفع في إتجاه زيادة ترابط العالم وإنكماشه وتنميطه أو توحيده فالعولمة تعني تعميم الشئ وتوسيع دائرته ليشمل الكل ،أما المحلية فهي إنكماش الدولة داخل حدودها القومية والتمسك بالذات الموجودة في المجتمع فالعولمة لا تولى أهمية للأرض والحدود بينما المحلية تُعززها والعولمة بإعتبارها موسوعة للحدود والمحلية بإعتبارها صائنة للحدود إن إستعرنا مصطلحي روزنو فإنهما تمثلان شكلا من أشكال التوترات السياسية الكبرى في أواخر القرن العشرين.

والعولمة ليست نظاما يعبر عن تطلعات البشر المختلفة و لا هو موضع إتفاق على سيادته المستقبلية وبذلك تختلف المنطلقات التي تتناول هذه الظاهرة بالتعريف فلكل باحث وجهة نظر لعدم وضوح ملامح هذه الظاهرة الجديدة في طرحها وصياغتها أثر عدد من الباحثين والمحللين العدول عن إعطاء تعريف محدد للعولمة، واكتفوا بمحاولة إبراز بعض

مظاهرها والحديث عن خصائصها ومجالاتها وقد يكون من المفيد النظر الى العولمة أو التعامل معها على ثلاث مستويات :

١/ العولمة كإيديولوجية.

٢/ العولمة كظاهرة.

٣/ العولمة كعملية.

ثانيا:ماهية العولمة الثقافية اهدافها ومرتكزاتها الرئيسية :

العولمة الثقافية تستهدف العقل والنفس و الادراك، فنظام الإدراك يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، ويدفع الى التفتيت والتشتيت، يربط الناس بعلم لا وطن ولا أمة ولا دولة أو يفرقهم ويمكن ايجاز اهداف العولمة الثقافية فيما يلي :

١/ خدمة السيادة المركزية الامريكية :وتوطيد معاني العولمة الاقتصادية والسياسية

٢/ توحيد الثقافة العالمية وصهرها في ثقافة واحدة و الغاء التعددية الثقافية وحق التنوع الثقافي

٣/ نزع الخصوصية الثقافية ومحو الهوية الذاتية.

٤/ تحطيم كل الثوابت الدينية والفكرية والأخلاقية للوصول إلى بناء انسان هامشي يذوب في بحر المادية.

ثانيا:العولمة الثقافية وتكنولوجيا المعلومات والاتصال الانترنت.

تعتبر تكنولوجيا المعلومات و الإتصال من أهم قوى الدفع للعولمة الثقافية فقد تقلص الزمان والمكان في تبادل المعلومات والعلاقات والمفاهيم و الأراء والنظريات. ....إلخ.

مما أدى إلى إنصراف الناس عن الكتاب وبالتالي تضخم سوقه ما يعني إتساع الفجوة بين المواطن والثقافة المحلية من فنون وأداب ومعارض ومهرجانات. .....الخ.

وتهدف العولمة الثقافية إلى زرع القيم والأفكار النفسية والفكرية والثقافية للقوى المسيطرة في وعي الأخرين وعلى الأخص أبناء المجتمعات التقليدية وفتح هذه المجتمعات إختراقها ثقافيا وإسقاط عناصر الممانعة والمقاومة والتحصين لديها، وبالمعنى الثقافي إعادة صيغة قيم وعادات جديدة تؤسس لهوية ثقافية أخرى. لهذه المجتمعات مهددة لهويتها الثقافية بشكل جدي بإتجاه فرض نمط ثقافي وهيمنة ثقافية معينة تنتجها مصالح الأقوياء وسيلتها الأساسية أداة إعلامية جبارة أصبحت قادرة على إعادة صياغة الأخلاق والقيم حتى العادات

وإذا كان عالم النفس الأمريكي الشهير ''بورس سكنر '' قد أشار قبل عقود في كتابة الشهير ''تكنولوجيا السلوك الإنساني ''في معرض نظريته التربوية إلى إمكانية ضبط سلوك الإنسان الفرد '' التعلم ''بنفس الطريقة التي يمكن بها ضبط سلوك حيوانات السيرك مركزا على دور الأسلوب المشوق والجذاب في ذالك الضبط الأمر الذي إعتبر في حينه صدمة للكرامة.

والأن فإن العومة الثقافية وعبر وسائل الإعلام وشبكات المعلومات كالإنترنت وسواها أصبحت تمارس نوعا من التحكم والضبط لسلوك الأفراد والمجتمعات وبطريقة قسرية رغم بعض الجذابة ولهذا لم يعد مستغربا أن تصل ميزانية فيلم سينمائي إلى مئات الملايين من الدولارات

إن مراكز المعلومات وتكنولوجيا الإتصال هي التي تمتلك اليوم مفاتيح الثقافة ولذالك نجحت الدول الغربية في نشر ثقافتها عبر المحيطات والقارات والترويج لأفكارها وقيمها الثقافية والأخلاقية والاجتماعية على حساب اكتساح الثقافة الوطنية.

<u>التكنولوجيات الحديثة و ثقافة المجتمع الحديث.</u>

تلعب وسائل الإعلام والاتصال دورا حساسا وجوهريا في صياغة القيم الاجتماعية وتغيرها ويتفق معظم علماء الاجتماع على أن ثورة

تكنولوجيا الاتصال والعولمة قد غيرتا السلوكيات والقيم الاجتماعية إن لم تكن قد قلبتها رأسا على عقب.

لقد أصبحت المجتمعات أقل تواداً وأكثر عزلة بعد أن وفر الكمبيوتر التعامل مع البنوك ووفر الألعاب والتسوق الاليكترونى والعديد من الخدمات الأخرى،واختفت جلسات الأصدقاء واجتماعات العائلة والكثير من المظاهر الاجتماعية التي تنتشر في المجتمع مثل الدفء والتواصل فالإختراعات التكنولوجية الحديثة تجعلك تتجول بواسطتها حول العالم دون مغادرة مكانك.

إننا ندخل عالما جديدا سواء رغبنا في ذلك أم لا عالما اسمه العالم الافتراضي لايوجد فيه فرق بين الوجود الفعلي والوجود الخيالي، عالم يفتقر إلى شيء يمكن أن يفسر على انه وعي اجتماعي أو قيمة روحية إنسانية.

لقد أعطت شبكة الانترنت بعدا أخر للاتصال إذ انه من اكبر مزاياها هي قدرتها على تحطيم الحواجز، وكذا القضاء على الأحكام الاجتماعية المسبقة، فأصبح الاتصال من خلالها يتم عن طريق الذهن.

يرى الباحث الفرنسي والناقد للوسائل التكنولوجية الحديثة أن غالبية الذين يستعملون الحاسبات في القيام بالاتصال يتجهون نحو تكوين

جماعة إنسانية شديدة الارتباط عن طريق نظام أو نسق من القيم الخاصة بهذه الجماعة وكل أفرادها

كما انه يرى أن أعضاء الجماعة ينتجون ويخلقون علاقات اجتماعية جديدة تدخل في اعتبارها عنصر الآلة أو الجهاز الذي بواسطته يتواصلون.

إن عالم الكمبيوتر والمعلوماتية يظهر بالنسبة للذين يعيشون على أطراف الحدود التي يرسمها وكأنه مجتمع منغلق

تشكل شبكات المعلومات سلاحا بالنسبة للذين يحسنون استعمال خدماتها بذكاء، حيث أن الشعوب القوية تتقارب ثقافتها على عكس المجتمعات الضعيفة التي تزداد ضعفا بفعل الثقافة الخارجية المفروضة عليها بقوة نظرا لأن التكنولوجيا الحديثة في مجتمعنا لازالت مستوردة بالكامل إنها تحمل معها بالضرورة بذور وجينات الثقافة الأجنبية وبالتالي فهي جبن نستوردها، تؤثر حتما على الثقافات لوطنية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وتصبح بهذا الانترنت نتائج بيئة ثقافة معينة وجزء دال عليها انطلاقا من اللغة كعنصرهام كعنصر هام من عناصر الثقافة، فقضية اختيار واستخدام اللغة هي قضية ثقافية رئيسية في أية سياسة للاتصال،نظرا

للمكانة البارزة التي تحتلها اللغة باعتبارها التعبير الأول والعالمي للحضارة.

تتكون شخصية الفرد تبعا للقيم والمعايير والتصورات والأنماط المميزة لثقافة المجتمع التي ينتسب إليها، وذلك من خلال عملية التعلم والتعليم في إطار التنشئة الاجتماعية، إذن أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتكيف بهذه الطريقة على عكس الكائنات الحية الأخرى التي يسرى تكيفها حسب أنظمة الغريزة وطبيعتها دون الدخول في التفاصيل الخاصة بمفهوم التنشئة الاجتماعية فانه نستطيع القول إجمالا أنها عملية إعداد الفرد منذ ولادته لان يكون كائنا اجتماعيا عضويا في مجتمع معين وتعليمه لغة قومه والتراث الثقافي والحضاري من عادات وتقاليد وسنن اجتماعية.

فالثقافة مثل الاتصال مصطلح شائع بين الناس فهي ليس بالأمر اليسير، إن كلمة الثقافة لم تكتسب بعد قوة التحديد الضرورية لتصبح علما يقوم على مفهوم معين، فعلى الصعيد الأكاديمي وبالنظر إلى الأهمية الاجتماعية والعلمية للثقافة حاول العلماء الباحثون منذ القرن الماضي وما زالوا يحاولون الوصول إلى تعريف أو تحديد مفهوم الثقافة.

لهذا تزخر مؤلفاتهم بعشرات التعريفات، ولعلها من أقدم التعريفات وأكثرها انتشارا لقيمتها التاريخية، وكذا يهتم معظم العلماء باعتمادها في بحوثهم وهو التعريف الانثروبولوجي الذي قدمه ادوارد تايلور في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه الحياة البدائية الذي يذهب فيه إلى إن الثقافة << هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعادات والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان بإعتباره عضو في المجتمع >>.

ويبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في الجماعة كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة التفاعل الإجتماعي، وبأخذ العنصر المادي للثقافة علاوة على العلاقات بين الناس ومن العناصر المكونة للثقافة، كما يبرز هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي.

وهنالك تصنيف مفيد لهذه الأجزاء في ضوء ما يسميه اجبرن إشباع الحاجيات الرئيسية للأفراد الأمر الذي يعطي الإنسان نظمه الإجتماعية التي هي جوهر الثقافة، وتترابط نظم الثقافة لتكون نمطا يميز كل مجتمع على حد.

ويمكن الإشارة إلى القسم اللامادي للثقافة بدلالات أخرى تقرب مفهوم الثقافة من الفهم واليسر وتوضح معانيه، فالثقافة المادية هي ثقافة موضوعية لها وجود خارج عن ذات الإنسان وهي مكونة من كل الأشياء المصنوعة والتكنولوجيا التي تنتجها مثل أماكن السكن، أنماط المواصلات، الرسوم والفنون. ... الخ وأوجه النشاطات التربوية التي يمكن ملاحظتها والثقافة اللامادية هي ثقافة ذاتية موجودة في وعي الأفراد ومميزة للشخصية وهي تلك العمليات الإدراكية والقيم والصور المنهجية والاتجاهات والمعتقدات التي تحدد إلى حد ما أنماط السلوك وأشكاله.

فإذا كان الاحتكاك الثقافي هو عملية تفاعلية نتيجة لحدوث اتصال وتبادل الأثر بين ثقافتين مختلفتين، من حيث القيم والمعايير الحاملة لها والنابعة منها وذلك من خلال إتباع كل واحدة منها للأسلوب حياة ونمط تفكير مغاير للآخر وتقتسمان المجال الاجتماعي فان التثاقف من حيث انه هو أيضا عملية تفاعلية يأخذ صور وأشكال مغايرة وله نتاج عميق في النسيج الثقافي لأي مجتمع، فالتثاقف يفترض أولا احتكاك مطولا بين ثقافتين مختلفتين ثم تأثير إحدى الثقافتين على الأخرى أو التأثير المتبادل بينهما.

فهو يعني على الصعيد النظري التبادل الثقافي المتكافئ أولا، ويعني أيضا تبني احد الأطراف النماذج الثقافية للطرف الأخر.

إلا أن الملاحظ لتاريخ المجتمعات يبين أن عمليات التثاقف غالبا ما تأت ضمن إطار معادلة استعمارية واستيطانية أدت إلى تشويه التبادل الثقافي، فالتثاقف كما حصل في كثير من المجتمعات التي عرفت الغزو والاستعمار كان تثاقف بالإكراه والقوة والعنف ففي حديثه عن عملية التثاقف وانعكاساتها على المجتمع الجزائري فإن الدكتور عبد الغني مغربي يشير إلى أن الجزائر عرفت شكلين كبيرين من التثاقف في تاريخها الأول يتمثل في دخول الإسلام حيث منح هذا الأخير للجزائريين قوة محركة لاكتشاف سيادتهم وهويتهم المفككة، والثاني دخول الاستعمار الفرنسي

فطبيعة التثاقف التي كانت بين الثقافة الفرنسية الوافدة والثقافة الجزائرية المحلية ظهرت في شكل سلبي، حيث نجد السلطة الفرنسية هي في موقع المهيمن بدأت بالفعل العسكري عن طريق المؤسسات القمعية بغرض غرس وترسيخ ثقافتها فالاستعمار كرر طيلة ١٣٢ سنة نفس الأراء والأفكار مستغلا في ذلك الآثار المكتوبة والشفوية ثم وسائل الإعلام، كل هذا لحشو الأدمغة بنوع خاص من المعرفة، فلقد تجسدت

أعمال التثاقف إذن في عدة ميادين منها التعليم والأدب ن المسرح ومست حتى الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

كما يرى المفكر المغربي محمد عابد الجابري أن العولمة والعالمية شيء أخر العالمية تفتح على العالم وعلى الثقافات الأخرى والاحتفاظ بالخلاف الإيديولوجي أما العولمة فهي نفي الأخر وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي ومن خلال التمييز بين العالمية والعولمة يرى الباحث بدر يونس أن العولمة هي مرحلة متقدمة من عملية التطور المجتمعي عبر التاريخ وهي عبارة عن تيار متحرك ديناميكي في تفاعلاته المتصاعدة، كما أن الدكتور عبد الإله بالقزيز يعارض بشدة أن العولمة الثقافية هي الانتقال من ظاهرة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الكونية فهو يرى أن العولمة هي << فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات وهي أيضا الاختراق الثقافي الذي يجري بالعنف المسلح والتقنية فبتعدد سيادة الثقافة في سائر الأنحاء التي تبلغها العولمة.

تأثير العولمة على ثقافات المجتمعات العربية الإسلامية

هناك الكثير من المواقف المؤيدة والمعارضة للعولمة الثقافية، ولكن فمن أي زاوية نظرنا إليها نجدها أنها تحمل في طياتها نوعا آخر من

الغزو الثقافي، قهر الثقافة الأقوى إلى الثقافة الأضعف فالذي فعله المهاجرون الأوائل إلى القارة لأمريكية بالهنود الحمر كان نوعا من الغزو الثقافي وان كان بالغ القسوة، فالغزو الثقافي يوصف بأنه إعتداء رأسمالي على الهوية الثقافية للأمة المعتدى عليها.

ورغم أن هناك العديد من المؤيديين والمعارضيين للعولمة الثقافية وعلاقتها بالهوية الثقافية، إلا أن هناك موقفا يزيد ميلي إليه في هذا الشأن، وهو أثر التكنولوجيا في الثقافة، فمن أي زاوية نظرنا إلى العولمة الثقافية نجد وراء كل هذا تطورا هائلا في التكنولوجيا، ذالك أن التقدم التكنولوجي الذي يظنه البعض شيئا محايدا تماما إزاء الهوية الثقافية والذي يحمل دائما خطرا يهدد هذه الهوية من خلال آلياته الضخمة والقوية للعولمة. وسنحاول في هذه الورقة التدخلية أن ننظر إلى أهم ما نستطيع ان نواجهه من اليات وحلول وتوعية خاصة التركيز على فئة معينة من المجتمع هي شريحة المراهقين المهددة بانفصام الشخصية بين ما هو موجود وما ينبغي ان يوجد.

التأثيرات التي تمارسها العولمة لا ينبغي النظر إليها بمصطلحات إقتصادية ضيقة إذا أنها تشتمل على مجالات سياسية و إجتماعية وثقافية والعديد من أوجه الحياة الأخرى إنها تاثيرات شاملة فالجزائر وغيرها من الدول العربية تواجه تحديات سياسيه وأيديولوجية

وإقتصادية وثقافية وللعولمة تعريفات متعددة وقد نتفق على أن هناك مجموعة من التطورات غير المسبوقة في المجالات الفكرية و الإقتصادية والثقافية والتكنولوجية تدفع في إتجاه زيادة ترابط العالم وإنكماشه رغم ذالك فإن البعد الثقافي للعولمة له خصوصية واضحة، فهو أكثر عشوائية أو أقل خضوعا للتنظيم والرقابة قياسا إلى الأبعاد الإقتصادية والسياسية مثلا أو هي أبعد كثيرا عن إمكانية التحكم فيها مهم و البعد الوحيد الذي يمكن أن يجد مقاومة أو الذي تُجدي معه هذه المقاومة مكّن جانب المجتمعات والشعوب الرافضة له ،لكنه في نفس الوقت ربما قد يكون أسرع إنتشارا وأيسر منالا في طلبه إذا ما كان عليه طلب.

فالعولمة الثقافية هي الشئ الوحيد الذي يمكن أن يقتحم المجتمعات دون رضاها أو إستئذانها أي رغما عنها ،حيث أنها وثيقة الصلة بتكنولوجيا الإتصال والمعلومات كما أنها الجانب الوحيد أيضا الذي يفتقر إلى وجود نظام عالمي يحكم إتجاهه أو يتحكم في توجهاته فالعولمة تهدف إلى القضاء على الخصوصية الثقافية أو تحويرها، فالثقافة كما هو معروف نموذج كلي لسلوك الإنسان ونتاجاته المتجسدة في الأفكار و الأفعال وما تصنعه يداه وتعتمد على قدرة الإنسان على التعلم ونقل المعرفة الأجيال.

تأثير الإنترنت على الثقافة العربية:

إن الثقافة العربية في الوقت الراهن تعيش مأزقاً حاداً يكمن في عجزها عن مواكبة التحولات العالمية وذلك بفعل تصاعد أهمية التكنولوجيا وبخاصة تكنولوجيا الاتصالات وثورة المعلومات وعلى رأسها الإنترنت، باعتبار أن هذه التكنولوجيا أصبحت وسيلة هامة وأساسية في نقل وتوزيع وانتشار الثقافة ومصادرها. أن التنمية المعلوماتية هي قضية ثقافية في المقام الأول؛ حيث صارت الثقافة في عصر المعلومات صناعة قائمة بذاتها. لقد أصبحت الثقافة هي محور عملية التنمية الاجتماعية الشاملة، في حين أصبحت تكنولوجيا المعلومات هي محور التنمية العلمية التكنولوجية[٣٨].

إننا نعيش عصر العولمة، وإحدى مظاهر العولمة شبكة الإنترنت ـ العولمة التي تجاوز الحدود بين الثقافات. وقد عرف المفكر المغربي عبد الإله بلقيريز العولمة بحسه القومي بأنها فعل اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات[٣٩]. ويقول المفكر العربي المغربي محمد عابد الجابري معرفا العولمة بأنها هي نفي للآخر وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي وإذا كان الصراع الأيديولوجي صراعا حول تأويل الحاضر وتفسير الماضي والتشريع للمستقبل فإن الاختراق الثقافي يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم. وهذا يعني

أيضا الحديث عن ثقافة عربية اصبح أمرا واهيا من هذه الزاوية يجعلون من العولمة أيديولوجيا مناهضة لفكرة الهوية الثقافية للأمة، وإذا كانت العولمة قادرة على توحيد الثقافات فنرى إنها توحيد الثقافة العربية[٤٠١].

ومن الواضح أن الإنترنت مهيمنة على العالم كله سياسيا واقتصاديا بالدرجة الأولى، طبعاً لابد وأن تكون أيضاً هنالك هيمنة على الثقافة، ولكن الهيمنة الثقافية لا تتأتى إلا على الشعوب ضعيفة الثقافة أو التي ليس لديها عتاد ثقافي قوي أو آلة ثقافية تضخ الثقافة في كل أرجاء العالم ليس فقط في المنطقة العربية، ولكن في العالم ككل، وفي اعتقادي أن لدى العرب ثقافة قوية يشهد لها العالم اجمع، فالأمة العربية منذ اقدم العصور، قدمت للعالم خدمات جليلة في ميادين العلوم والفكر والثقافة، فالعرب هم من اخترعوا (الرقم) وعولموه، أي قدموه للعالم الذي يستخدمه حتى الان فقد أثبتت الدراسات والاطروحات بما لا يقبل الشك بأن العرب هم من اخترعوا الرقم سواء على الطريقة الهندية أو على الطريقة الأوروبية وان الصفر وهو رقم مهم جدا في عالم الرياضيات، هو من اختراع عربي، وقد أجمعت على ذلك كل المراجع ولا ننسى أن علم الجبر هو من اختراع العالم العربي جابر بن حيان واختراع نظام Logo هو من اختراع العالم الخوارزمي، وغيرها من العلوم والثقافة إذا، امتنا العربية كما يشهد لها التاريخ بذلك، قادرة على الانخراط في هذا العصر، بشرط أن تحافظ على مقوماتها ونهجها،

وتسهم بإيجاد علوم أخرى تصدرها إلى العالم مع ما تملكه الان من علوم وثقافات، كما فعلت في القرون السابقة[٤١] ومما سبق ذكره يبقى سؤال واحد وهام جدا آلا وهو هل باستطاعة الأمة العربية بما تملك من ثقافة وحضارة أن تواكب عصر المتغيرات وتلعب دورا إيجابيا فعالا في نقل الثقافة العربية عبر الإنترنت إلى العالم اجمع؟ وأنا في اعتقادي طالما أن هنالك ثقافة عربية جادة وقوية ومنتشرة إنه من الصعب السيطرة عليها والهيمنة عليها إذن يجب الاهتمام بنشر الثقافة العربية عبر الإنترنت حتى تكون هي المهيمنة وليس المهيمن عليها.